

## ماذا يعنني تجاوب العاهل السعودي السُّعُودي السُّريع مع طلب ترامب بزيادة إنتاج النفط مليوني برميل يوميًا؟



وهل أصبح الرئيس الأمريكي هو أمين عام "أوبك"؟ وما هو موقف روسيا والصين والدُّوَل المُصدِّرة الأُخرى؟ وهل ستحصل القيادة السعودية على ثَمَنٍ مُقابل هذا القرار الخَطير.. وما هو؟

عبد الباري عطوان

لَبَّتِ المملكة العربية السعودية نداء الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، ووافق عاهلها الملك سلمان بن عبد العزيز فورًا على زيادة إنتاج بلاده من النفط يوميًا لتعويض النقص المُتوقَّع في الإمدادات بسبب العقوبات التي تفرِّضها الإدارة الأمريكية على كُُلِّ من إيران وفنزويلا، وتخفيض أسعار النفط الخام قُبيل الانتخابات التشريعية الأمريكية النصفية في تشرين الثاني (نوفمبر) المُقبل، بعد أن تجاوزت حاجز الـ80 دولارًا للبرميل.

الرئيس ترامب أطلق الرصاص الأولى في حصاره الذي يُريد فرضه على إيران ابتداءً من تشرين الثاني المُقبل كخطوةٍ أولى في إطار مُخطَّطه الرامي لإطاحة النظام، واستبداله بأختر مُوالٍ للولايات المتحدة تمامًا مثلما جرى أثناء غزو العراق واحتلاله عام 2003، وتغيير نظام الرئيس صدام حسين بتخريب إسرائيل.

السيناريو نفسه يتكرر الآن بعد 15 عامًا بالتَّمام والكمال، وتلعب المملكة العربية السعودية، ودُوَل خليجية أُخرى دَوْرًا محوريًّا فيه، سواء بإغراق أسواق العالم بالنفط

لخَفْضِ الأَسْعارِ حتَّى لا يَتَأَثَّرَ الاقْتِصادُ الغَرْبِيُّ، وَجِيبُ المُوَاطِنِينَ الأَمْرِيكِيِّينَ بِالتَّالِي، هَذَا حَصلُ قُبَيْلِ غَزْوِ الكُويتِ عامَ 1990، والأَمْرُ نَفْسَهُ تَكَرَّرَ أَثناءَ غَزْوِ العِراقِ عامَ 2003، وَكانَ لافِتَةً أَنَّهُ في الغَزْوَيْنِ لَمْ تَرْتَفِعْ أَسْعارُ النَفْطِ، فإِغْراقُ الأَسْواقِ بِكمِّيَّاتٍ إِضافِيَّةٍ مِنَ النِّفْطِ وَتَخْفِيفُ الأَسْعارِ بِالتَّالِي هُوَ أَحَدُ أَبرزِ مُؤَشِّرَاتِ الحُرُوبِ الأَمْرِيكِيَّةِ في المِنطَاقَةِ العَرَبِيَّةِ.

\*\*\*

خُطَّةُ تَغْيِيرِ النِّظامِ في إِيرانِ الَّتِي بَدَأَ الرَّئيسُ تَرامبُ في تَطْبِيقِها بِتَشديدِ الحِصارِ النَفْطِيِّ، وَتَحْرِيكِ الشَّارِعِ الإِيرانِيِّ، وَمُحاوَلَةِ تَجْفِيفِ العَوائِدِ المَالِيَّةِ، تَرَكَزَ عَلى تَهْدِيدِ الدُّوَلِ والشَّرْكَاتِ الَّتِي تَرَفُضُ إِملاءاتِهِ بِوَقْفِ اسْتِيرادِ النَفْطِ الإِيرانِيِّ وَعَدَمِ الإلتِزامِ بِالعُقُوبَاتِ بِوَضْعِها عَلى القَوائِمِ السُّوداءِ، وإِغْلاقِ الأَسْواقِ الأَمْرِيكِيَّةِ في وَجْهها، أَمَّا الجانِبُ الأَخرُ مِنَ هَذِهِ الخُطَّةِ فَيَتَمَثَّلُ في زيادَةِ مُعاناةِ الشَّعبِ الإِيرانِيِّ مِنَ جَرَّاءِ الغَلَّاءِ وَتَدَهُّورِ قِيميَةِ العُمَلَةِ الوَطْنيَّةِ، مِمَّا يَدْفَعُهُ إِلى الثُّمُورَةِ، وَالنِّزُولِ إِلى الشَّوَارِعِ في مُظاهراتٍ اِحْتِجاجِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، وَقَدْ بَدَأَتْ حَمَلاتُ التَّحْرِيفِ الإِعلامِيَّةِ في هَذَا المِصْمارِ، وَمِنَ المُتَوَقَّعِ أَنْ تَتصاعَدَ وَتِيرانَتُها في الأَسابِعِ المُقبِلَةِ. إِيرانُ تُنتِجُ حاليًّا 2.8 مِليُونِ بَرْمِيلِ نِيفْطٍ يَومِيًّا، تَشْتَرِي الصِّينُ (600 أَلْفِ بَرْمِيلِ)، وَالهِنْدُ (400 أَلْفِ بَرْمِيلِ)، أَيَّ ما يَقرُبُ مِنَ نِصْفِ حَجمِ الصَّادِراتِ النِّفْطِيَّةِ الإِيرانِيَّةِ، أَمَّا ما تَبْقَى مِنَ كَمِّيَّاتِ فيذْهَبَ إِلى تُرْكِيا وَاليابانِ وَكُورِيا الجَنُوبِيَّةِ وَفرنْسا وإِطالِيا وإِسبانيا، وَضَخَّ المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعودِيَّةِ مِليُونِيًّا بِرْمِيلِيًّا إِضافِيًّا يُعادِلُ حَجمَ الصَّادِراتِ الإِيرانِيَّةِ تَقْرِيبًا، وَربَّما يَصْغَطُ الرَّئيسُ تَرامبُ عَلى دُوَلِ خَلِيجِيَّةٍ أُخْرَى مِثْلَ دِولَةِ الإِماراتِ العَرَبِيَّةِ المُتحدَةِ وَالكُويتِ لإِضافَةِ بِضِعةِ مِئاتِ الأَلْفِ مِنَ البَرْمِيلِ الإِضافِيَّةِ أَيضًا لِكَونِها ضَرُورِيَّةً لِهُبُوطِ الأَسْعارِ تَحْتَ حَاجِزِ 80 دُولارًا لِلبَرْمِيلِ (خامِ بَرنت) الَّتِي وَصَلَتْ إِليه يَومَ الجُمُعَةِ لِلمَرَّةِ الأُولَى مُنذُ عامَ 2016، وَهُنَاكَ تَقارِيرُ تَقولُ بِأنَّ السُّعودِيَّةَ قَدْ تَضَطَّرَتْ لِتَفعِيلِ الإِنْتاجِ المُتَوَقَّفِ في حَقْلِي الخَفْجِي وَالوْفَرَةِ المُشْتَرَكَةِ مَعَ الكُويتِ في المِنطَاقَةِ المُحايدَةِ الَّتِي يُقدَّرُ إِنتاجُهما بِـ500 أَلْفِ بَرْمِيلِ يَومِيًّا.

القرارُ السُّعوديُّ بِالمُوافَقَةِ عَلى طَلبِ الرَّئيسِ تَرامبِ في المُكالمَةِ الهاتِفِيَّةِ الَّتِي أَجراها مَعَ العاهلِ السُّعوديِّ اليَومَ السَبْتِ يَعني وَصولَ الإِنْتاجِ السُّعوديِّ إِلى سَقفِهِ الأَعلى أَيَّ 12 مِليُونِ بَرْمِيلِ يَومِيًّا، وَخُرُوجًا عَنِ اتِّفَاقِ "أوبِك" الَّذِي جَرى التَوصُّلُ إِليه قَبْلَ أُسْبوعٍ بِالتَّسَنُّيقِ مَعَ رُوسِيا، عَلى أَنْ تَكونَ زِيادَةَ الإِنْتاجِ في حُدُودِ مِليُونِ بَرْمِيلِ فقط، الأَمْرُ الَّذِي قَدْ يُؤدِّي إِلى انْهيارِ المُنْطَاقَةِ، أَوْ حُدُوثِ انْقِساماتٍ فِيها عَلى الأَقْل.

بَعْدَ هَذِهِ المُكالمَةِ الهاتِفِيَّةِ أَصبحَ تَرامبُ هُوَ أَمِينُ عامِ مَنظَمَةِ "أوبِك"، وَصاحبُ القرارِ الأَوَّلِ والأَخيرِ فِيها مِنَ خِلالِ نُفُوذِهِ وإِملاءاتِهِ عَلى السُّعودِيَّةِ وَدُوَلِ خَلِيجِيَّةٍ أُخْرَى.

لا نَعْرِفُ كِيفَ سَيَكونُ رَدُّ الفِعلِ الرُوسِيِّ عَلى الخَرْقِ السُّعوديِّ لِلاتِّفَاقِ، وَكذلكَ مَواقِفَ دُوَلِ أُخْرَى

أعضاء في المنظمة النفطية، مثل الجزائر التي لَعِبَت دورًا بارزًا في "المُصالحة" بين روسيا ومنظمة "أوبك" بقيادة السعودية، مما أدّى إلى وقف انهيار الأسعار واتّجاهها مُعودًا، ولكن من المُؤكّد أنّنا أمام مَرحلةٍ من الفَوضى في الأسواق العالميّة، اقتصاديّة وسياسيّة، قد تتطوّر إلى استقطاباتٍ وتَحالفاتٍ لا تكون في صالح أمريكا وحُلُفائها العَرَب بقيادة السعودية. تخفيض أسعار النّفط بقَرارٍ سُعوديٍّ مُفاجئٍ آخِر، وفي أقل من أربع سنوات من القَرار الكارثي، سيَنعكس سَلبًا على عَوائد دول "أوبك" التي مُنذبت بكارثةٍ ماليّةٍ من جرّاء انهيار أسعار النفط عام 2014 ووصولها إلى 30 دولارًا، بعد أن وصلت إلى 120 دولارًا للبرميل، خاصّةً أنّ القَرار السُعودي الجديد يأتي في وَقتٍ بدأت فيه الأسعار تتعافى وتَقترِب من قيمتها الحقيقيّة، ويَما يُوفّر العَوائد المأمولة للدُّول المُصدّرة ومُعظّمها من العالم الثالث وتُواجه أزماتٍ اقتصاديّة طاحنة.

\*\*\*

تركيا أعلنت بالأمس أنّها لن تلتزم بالعُقوبات الأمريكية وستستمرّ في استيراد النّفط الإيراني كالمُعتاد، لأنّ إيران دولة جارة وشريك تجاريٍّ مُهم، ومن غير المُستبعد أن تَحذو الصّين حذوها، وربما تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك وتزيد وارداتها النفطية من طِهْران إلى مليون برميل يوميًّا حَسب بَعْض التّقارير الإخباريّة.

السُّؤال الذي يَطرح نفسه بقوّة هو عن الثّمَن المُقابل الذي من المُفتَرَض أن تَحصل عليه القيادة السُعوديّة مُقابل هذا التّجاوب السّريع مع طَلب ترامب، وزيادة إنتاجها النّفطي إلى مُعدّلاته القُصوى، وربما يَحرم مُواطنيها، ومُعظّم الشُّعوب الخليجيّة والإسلاميّة العَربيّة الأُخرى المُصدّرة للنّفط وتَعتمد على عَوائده كمصدرٍ أساسيٍّ للدّخل (الجزائر، ليبيا، العراق، نيجيريا، إيران، أندونيسيا، والقائمة تطول)، من مِئات المليارات من الدُّولارات سنويًّا بسبب هذا الانخفاض في الأسعار، ومن أجل رفاهيّة المُواطن الأمريكي والغربيّ، وانتعاش اقتصاديّات بلادِهِ، وتغيير النّظام في دولةٍ مُسلمةٍ، وإغراق منطَقة الشرق الأوسط في الفَوضى، نَتَركُ الإجابة لاجتهاداتكم وللأسابيع والأشهُر المُقبلة، وما عَلينا إلا الانتظار.